الجمهورية الجزائرية الديمقراطية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد

UNIVERSITY OF TLEMCEN

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

الموضوع

عود الضمير في التفسير دراسة سياقية نماذج مختارة

إعداد الطالب:

جودي عبد القادر

إشراف :

أ.د. موسوني محمد

لجنة المناقشة

أ.د. طرشي سيدي محمد	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. موسوني محمد	جامعة تلمسان	مشرفا
د. بن شريف أحمد	جامعة تلمسان	مشرفا مساعدا
د. بشيري أحمد	جامعة تلمسان	ممتحنا

العالم الجامعي 1444-1445هـ/ 2022-2023م

الإهداء

أهدي هذا البحث

إلى روح الوالدين الكريمين الذين طالما تعبا لأرتاح و دفعاني نحو النّجاح .

وإلى الأسرة الصغيرة .

الزوجة الكريمة .

وكتاكيت الحياة: صفية، وتسنيم، ومحمد .

فهرس المحتويات

مقدمة عامة:.....أ

الفصل الأول

مفاهيم السياق ، و التفسير، والدلالة، والضمير، قواعد ترجيحية متعلقة بالسياق، والضمير

..... 5

المبحث الأول: مفهوم السياق لغةً ،و اِصطلاحاً ،و قواعد ترجيحية متعلقة بالسياق..... 2

المطلب الأول: مفهوم السياق لغةً 3

المطلب الثاني: مفهوم السياق اِصطلاحاً 4

المطلب الثالث : قواعد ترجيحية متعلقة بالسياق 5

_ المبحث الثاني: مفهوم الدلالة لغةً و اِصطلاحاً 7

المطلب الأول: مفهوم الدلالة..... 8

المطلب الثاني: مفهوم الدلالة في الاِصطلاح 9

المطلب الأول: التفسير لغةً.....12

المطلب الثاني: التفسير اِصطلاحاً 12

المطلب الثالث : الفرق بين التفسير والتأويل 14

المبحث الرابع: مفهوم الضمير لغةً ،و اِصطلاحاً ، و أشكاله و قواعد ترجيحية متعلقة

بالضمير.....16

المطلب الأول: الضمير لغةً 16

المطلب الثاني: الضمير اِصطلاحاً 17

المطلب الثالث: أنواع الضمائر:.....18

المطلب الرابع . قواعد ترجيحية متعلقة بالضمير 20
الفصل الثاني نماذج تطبيقية مختارة من القرآن الكريم 23
المبحث الأول: عود الضمير على أقرب مذكور.....24
المبحث الثاني: عود الضمير على البعيد بدل القريب لعلة 28
المبحث الثالث: تطابق الضمائر في المرجع الواحد.....32
المبحث الرابع : عود الضمير على المعنى 35
المبحث الخامس : عود الضمير على غير مذكور 38
المبحث السادس: ضمير الشأن.....42
المبحث السادس: عود ضمير جمع الذكور على المؤنث 43
الخاتمة 46
قائمة المصادر والمراجع 48

مقدمة عامة

مقدمة عامة:

القرآن كتاب هداية، ونزل بلسان عربي مبين ، لا يتسنى فهمه إلا لمن له المعرفة الواسعة باللغة العربية وقواعدها و أساليبها ، واللغة حمالة أوجه ، متعددة المعاني ،والدلالات ،تلتبس معانيها؛ لاحتوائها على الإشتراك اللفظي، و الترادف، واللفظ المنقول ،و المتواطئ، و المشكك ، و المستعار، وإحالة الضمير.

أسباب اختيار الموضوع :

لكثرة ورود الضمير في القرآن و توقف فهم النص القرآني على فهم الضمير، إحتياج الضمير إلى قواعد تفسيرية لضبط المعنى ، وقد أولى العلماءُ اللغةَ العربيةَ دوراً كبيراً في فهم القرآن ، وتنوعت مفهومهم، واستنباطاتهم من النص القرآني ، بتنوع الوجوه التي يحتملها هذا النص ، وهذا التنوع في الفهم مرجعه أمورٌ كثيرة، ومن أهمها قواعدُ اللغة العربة وأساليبها التي منها قواعد عود الضمير ، التي تتحكم في عوده مرة، ويحكم عوده السياق مرة أخرى ،و حتّى قواعد عود الضمير تتجاذبه فيما بينها؛ فمرة يعود على أقرب مذكور ، و مرة يعود على البعيد مع صلاحه للعود على القريب ، ومرة تفرق الضمائر في السياق الواحد وأخرى يوحد مرجعها ، و مرة يرجع لمذكور وفي أخرى يرجع إلى مقدر، وهذ ما يُنشأ إشكالاً في طبيعة الضمير و إحالاته في النص القرآني ونحن في بحثنا نسعى إلى كشف دور السياق في إحالة الضمير و دلالته في القرآن.

لذالك جاءت هذه الدراسة التطبيقية للوقوف على جوانب هذه المسألة و مدى تأثير السياق وتحكمه في عود الضمير، وفي تحديد المرجع، من خلال بعض النماذج المختارة لبعض الآيات التي كان للسياق فيها أثره في تحديد مرجع الضمير، و لم نحدد نوعا خاصا من أنواع الضمير على كثرت وقوع الضمير بأنواعه في القرآن، وإنّما تناول البحثُ جميع أنواع الضمير، وإن كانت أغلبية النماذج

كانت على ضمير الغائب ، فلم يقصد هذا النوع ، و إنّما جاءت كثرته اتفاقاً ، فكان عنوان هذ البحث " عود الضمير و أثره في التفسير دراسة سياقية نماذج مختارة "

إشكالية البحث:

وجاء هذا البحث للإجابة عن بعض التساؤلات منها :

ـ هل للسياق أثر في تحديد مرجع الضمير؟

ـ هل يتعارض السياق مع بعض ضوابط عود الضمير التي حددها علماء العربية ؟

ـ مدى حضور السياق في ترجيحات المفسرين لمرجع على آخر .

ـ الإِطلاع على أهمية السياق في فهم النصوص، من خلال إبراز دوره في تحديد مرجع الضمير، وترجيحه لتفسير على تفسير آخر.

ـ أثر صحة تحديد مرجع الضمير في صحة التفسير.

ـ أهمية العلم بأساليب اللغة العربية في تفسير القرآن الكريم من خلال إبراز دور السياق القرآني، وحضوره في التفسير.

أهمية البحث:

وتظهر أهمية هذ البحث في خدمة الدراسات المهتمة بالسياق، وإظهار دور السياق ـ بنوعيه الاجتماعي و اللغوي ـ في فهم النصوص .

ـ كما يخدم علمَ التفسير و علمَ اللغة العربية، ويُبين أثر الخلاف في عود الضمير .

_ حسم الخلاف في عود الضمير بطريقة مؤمونة علمية ، تخضع لقواعد مضبوطة ، فتدفع الذاتية ، و تدعم الموضوعية .

_ إعطاء فرصة متكافئة للسياق بنوعيه ، و لقواعد الضمير في اللغة ، لضبط ، و إيضاح مفهوم النص.

الدراسات السابقة :

وقد سبقني المفسرون، وغيرهم من علماء العربية والباحثون و إنّما المقصود من هذا البحث إجلاء الضمير، وإيضاحه بطبيعة السياق الذي ورد فيه، وأذكر بعض الدراسات السابقة فمنها:

1 _ شتيوي ، فاطمة أحمد السيد ، اختلاف الدلالة لاختلف عود الضمير في القرآن الكريم ، دراسة نظرية تطبيقية ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، 2005م

2_ القاسم ، عبد الحكيم بن عبدالله ، عود الضمير و أثره في التفسير ، دراسة لضمير المعتمد على الهاء في حزب المفصل ،رسالة دكتوراه ، جامعة الملك سعود ،كلية التربية 1430 ه / 2009 م .

3 _ واضح كافي حلومي محمد العزاوي ، أثر السياق القرآني في الترجيح بين المعاني ، الجامعة الإسلامية .

4 _ شيلابي ، أسماء علي موسى ، السياق القرآني و أثره في الترجيح في محاسن التأويل للقاسمي ، جامعة بني سويف .

منهج الدراسة:

ولقد إعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، فأعمد إلى النموذج المراد دراسته أحدد الضمير المختلف في مرجعه ، فأذكر أقوال بعض المفسيرين و اللغويين فيه ،ثمّ أرجح قولاً أو أقوالاً على أساس السياق ، مستعينا في كل ذالك بكتب اللغة و التفسير .

خطة البحث:

وقد إقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، وفصلين، وخاتمة :

تطرقت في المقدمة لإشكالية البحث، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجيته.

الفصل الأول: وهو فصل نظري بينت فيه معنى الكلمات المفتاحية في العنوان؛ الضمير لغةً واِصطلاحاً، والتفسير لغةً واِصطلاحاً، والسياق لغةً واِصطلاحاً، ثمّ الدلالة لغةً واِصطلاحاً، وذكرت فيه بعض القواعد الترجيحية المتعلقة بالضمير ، و بالسياق ، مع شرح مقتصب لها .

الفصل الثاني : نماذج مختارة للضمير من القرآن الكريم .

الخاتمة : وذكرت فيها ما توصلت إليه من نتائج، وما استفدت من بحثي، وما يوصى به من خلال هذا البحث .

الفصل الأول

مفاهيم السياق ، و التفسير، والدلالة، والضمير، قواعد ترجيحية متعلقة بالسياق، والضمير .

المبحث الأول: مفهوم السياق لغةً ،و اِصطلاحاً ،و قواعد ترجيحية متعلقة بالسياق

لا شك أنّ لكل لفظة في معناه الاِصطلاحي أثراً ، و نصيباً من معناها اللغوي ، و لفظة السياق لا تخرج عن ذالك ، إلا أنّ المعنى الاِصطلاحي يكون فيه معنى زائداً ، و أكثر تحديداً ، وضبطاً، و هذا الضبط يظهر في قول فيرث : بأن المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية ، أي و ضعها في سياقات مختلفة ، فالمعنى عنده يُفَسّر باعتباره و ظيفة في السياق ، و نظرية السياق هي التي أعطت للفظ بعده في النص ، و دوره العملي.[1]

فالظروف اللغوية التي تساهم في تكوين النص ، بيئتُه، منشؤه، ومنتجُه، ومتلقيه كلها تُكوِّن بعدين ، أحدهما داخلي ، و الآخر خارجي ، فأمّا الداخلي ، فيدور حول الكلمة ، و علاقتها بما يرافقها في النص الواحد من كلمات تشكل معها تركيبا لغويا ، و هو ذاته السياق اللغوي ، و له دور قوي في إظهار المعنى ، و إبعاد اللبس ، و إسقاط المحتملات ، و إضفاء الجماليات .

و البعد الخارجي يمثله مجموع ما يحيط بالنص من منتِجٍ ، و متلقٍ، و زمانيةِ الإنتاج ، ومكانيتِه، وثقافةِ الحياة التي أنتجت فيها عملية التخاطب .

و هناك من يعبر عنه بالقرينة الحالية ، أو المقام ، و لأنّها تدور حول خصوصيات المتخاطبين، و خارجة عن التعابير الحرفية ، فإن ذالك يحول دون حصرها ، و الإحاطة بها فلا سبيل إلى إدراكها إلاّ بالكفاءات الشخصية .

و بعد هذا التوضيح لما نريده بالسياق، يجدر بنا أن نعرّف السياق لغةً ، واِصطلاحاً حتّى نضبط ماهيته .

[1] – ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، عالم الكتاب القاهرة الطبعة الرابعة 1993 /ص 68 ط.

المطلب الأول: مفهوم السياق لغةً .

السياق في اللغة يدور معناه حول ثلاثة معاني ؛ المتابعة ، و المقاودة ، و المساوقة ، فالسين، و الواو و القاف ، أصلاً واحداً ، يعني متابعة الشيئ ، فمنه ساق الشيئ يسوقه سوقاً ، وساق الماشية سوقاً، و سياقة فهو سائق و سواق، و المساوقة المتابعة ، فما تتابع كأنّه يسوق بعضه بعضاً[1].

ومن ذلك سوق الإبل ، و غيرها ساقها سوقاً و سياقاً فانساقت ، و هو سائق و سواق .

و يقال للإبل انساقت و تساوقت تساوقاً ؛ إذا تتابعت ، و منه سوق المهر للمرأة يقال ساق إليها الصداق و المهر سياقاً ، و أساقه ، فاستعمل ذالك في الدرهم و الدينار قياسا لهما على الأنعام التي كانت تساق مهراً [2] .

و جاءت كلمة السيق بمعنى المهر، و يقال عن تتابع الكلام ،و جريانه في أسلوب واحد ؛ سياق الكلام [3] .

و يوصف حسن الكلام ، و بلاغته ، إذا كان موحد المعنى ، متعانق الألفاظ ، ينقل السامعَ عبر أجزائه دون أن يحس بنوعِ تباعدٍ بينها ، أو اِختلاف ؛ بأنّه كلام جاء في سياق واحد حسن .

فيقال : و هو يسوق الحديث أحسن سياق ، و إليك يساق الحديث ، و هذا كلام مساقه الى كذا، و جئتك بالحديث على سوقه على سرده[4] .

---

[1] – ابن فارس ، أحمد بن زكرياء أبي الحسين ، معجم مقاييس اللغة ، ت عبد السلام محمد هارون دار الفكر مادة سوق ج 3/ ص 117

[2] ــ ابن منظور ،جمال الدين محمد بن مكرم (أبو الفضل) الإفريقي المصري ، لسان العرب دار صادر بيروت (سوق) ج 6 / ص 434 _435

[3] مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط الرابعة 2004 م / 1425 ه مكتبة الشروق الدولية ج1 / ص 465

[4] – الزمخشري أبو القاسم ، محمود بن عمر(جار الله) الخوارزمي (ت 538) ، أساس البلاغة ت محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ص 225.

المطلب الثاني: مفهوم السياق اِصطلاحاً .

واِصطلاحاً: (هو ما يدل على خصوص المقصود، من سابق الكلام المسوق لذلك، ولاحقه).[1]

تعرضت اللسنيات الحديثة الى تبيين أهمية السياق، والمدرسة التي عنيت به مدرسة لندن، ورائده فيرث حيث أكّد أنّ للغة و ظيفة إجتماعية، ومعنى الكلمة عندهم يظهر من اِستعمالها في اللغة ، لهذا يصرح فيرث أنّه لا معنى للوحدة اللغوية إلا بوضعها في سياق ، و يختلف المعنى باختلاف السياقات، والسياق عندهم أنواع :

1- السياق اللغوي ، رجل حسن لا تساوي طبيب حسن .

2- السياق العاطفي، الصاحب لا تساوي الخليل رغم اشتراكهما في معنى الصداقة.

3- سياق الموقف ، يرحمك الله للتشميت غير الله يرحمه للميت .

4- السياق الثقافي ، جذر في الرياضيات غير جذر عند الفلاح[2] .

أمّا الدرس اللغوي العربي الإسلامي ، فقد جاءت فيه تطبيقات للسياق ، فقد عنون الإمام الشافعي في رسالته باباً، بقوله : باب الصنف الذي يُبيّن سياقه معناه[3] .

[1] – – الجلال السبكي، شمس الدين ، حاشية البناني على شرح جمع الجوامع دار الفكر ج1/ص 20

[2] – أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، مرجع سابق ص 68.

[3] – الشافعي محمد بن إدريس ، ، الرسالة ، ت أحمد محمد شاكر، المكتبة الشاملة.ج 1/ص62.

المطلب الثالث : قواعد ترجيحية متعلقة بالسياق .

القاعدة الأولى:

(إدخال الكلام في معاني ماقبله، وما بعده ، أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم إليه).

إيضاح القاعدة : إذا اختلف المفسرون في تفسير آية ، أو جملة من كتاب الله ، و ذهب بعضهم إلى معنى يربطها بسباقها ، و لحاقها من اللآيات ، و ذهب غيره إلى ما يخرجها عن سياق سباقها ، و لحاقها ، و يفصلها عما قبلها ، و ما بعدها ، فحمل التفسير على ما يجعلها متسقة مع ما قبله ، و ما بعدها أولى من الخروج بها عن ذالك ، لأنّه أليق بالسياق ، و المقام ، ما لم يرد دليل يصرف عن هذا التفسير أو يرجح غيره .

بيان ألفاظ القاعدة : المقصود ب ((الكلام)) هو الآية ، أو جزء الآية المراد تفسيره يفهم في سياقه الذي ورد فيه ما لم تصرفه قرينة عن ذلك .

و قولهم ((ماقبله)) أي السابق للآية ، أو الجزء و يسمى سباقاً .

السين ، و الياء ، و القاف أصل و احد صحيح يدل عل التقديم 1 .

و قولهم ((و مابعده)) ؛ أي مابعد محل الخلاف و هو يسمى ((لحاقاً)) .

اللام ، و الحاء ، و القاف ، أصل يدل على إدراك الشيئ ، و بلوغه إلى غيره يقال لحق فلان فلاناً، و ألحق بمعناه ، و ربما قالواْ لحقته اتبعته 2 .

1 بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ج3 / ص129

2 _ المصدر السابق ج5 / ص/ 238

و السباق ، و اللحاق يمثلان عند اجتماعهما السياق .

و قولهم ((أولى بالخروج عنهما)) أي عدم الخروج راجح على الخروج و هذا يعني الترجيح .

و قولهم ((إلا بدليل يجب التسليم إليه)) أشار إلى هذا الدليل في مواضع كثيرة بعض المفسيرين ، و حدده بأنّه [1] :

1 ـ خبر متصل الإسناد يفسر الآية ، و يخرجها عن معنى سياقها .

2ـ إجماع من أهل التفسير ، و التأويل .

القاعدة الثانية :

((لايجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه)) .

إيضاح القاعدة : قرر علماء الأصول أن ظاهر النصوص من الكتاب ، و السنّة هو المراد الذي تحمل عليه ، و يقتضيه ظاهر ألفاظها ، و لايجوز العدول عنه [2] ؛ لأنّ مراد المتكلم لا يعرف إلاّ من خلال ألفاظه فيعبر بلفظه عمّا في نفسه من المعاني ، فمن خالف ظاهر القرآن ، فإنّ هذه القاعدة تردّ عليه و ترجح غير ما ذهب إليه .

بيان ألفاظ القاعدة : المراد ب ((الظاهر)) ؛ هو ما يتبادر إلى الذهن من المعاني ، فلا يصار إلى معنى باطني يخالف الظاهر ، و هذا الظاهر يختلف بحسب السياق الواردة فيه اللفظة ، فمعنى اللفظة يظهره السياق ، و يختلف باختلافه . [3]

---

1 ـ الطبري ، محمد بن جرير(أبو جعفر) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،ت محمود محمد شاكر ،دار التربية والتراث ط ب ت . ج 1 / ص82 ، ج 7 / ص 268 ، ج14 / ص 158 .

2 ـ الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختاربن عبد القادر الجكني (ت1393ه) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،دار الفكر لبنان ت ن 1415 ه / 1995 م ج 3 /ص100

3 ـ العثيمين ، محمد بن صالح ، القواعد المثلى في أسماء والصفات ص 36 .

فالظاهر في هذه القاعدة ؛ هو مدلول النصوص المفهوم بمقتضى الخطاب العربي [1] .

و المراد ب ((إلا بدليل يرجع إليه)) الدليل المراد إمّا دليل عقلي ، أو نقلي .

قال بعض العلماء : ((و المحذور إنّما هو صرف القرآن عن فحواه ، بغير دلالة من الله ورسوله و السابقين)) [2] .

القاعدة الثالثة :

((حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ، ومعهود اِستعماله أولى من الخروج به عن ذالك)).

إيضاح القاعدة : إذا اختلف المفسرون في تفسير آية ، أو جملة ، أو لفظة من القرآن الكريم، فالأولى بالرجحان القول الموافق لاِستعمال القرآن لها في مواضع أخرى ، سواء كان غالباً أو مطرداً.

بيان ألفاظ القاعدة : المقصود ب ((كلام الله)) الجزء المختلف في تفسيره من القرآن .

و((أولى من الخروج به عن ذلك)) عائد إلى الغالب ، و ما عهد من اِستعمال القرآن [3] .

_ المبحث الثاني: مفهوم الدلالة لغةً و اِصطلاحاً .

و لما كان هدفنا من بحثنا الإستدلال على المعنى الصحيح ، و تبيّنه و إظهاره بأدلته ، لزمنا توضيح معنى الدلالة لغةً و اِصطلاحاً .

---

1 الشاطبي ، إبراهيم بن موسى اللخمي (أبو إسحاق) الغرناطي المالكي ،الموافقات في أصول الشريعة ، ش عبد الله دراز ، دار الحديث القاهرة 1427 ه / 2006 م ج 3 / ص 383 _ 391

2 _ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ج6 / ص 21

3 _ الحربي حسين بن علي بن حسين ، قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية / ج2 / ص 172_ 173 ، دار القاسم ط الأولى 1417ه / 1996 م . .

المطلب الأول: مفهوم الدلالة لغةً :

يدور معنى الدلالة في المعاجم العربية حول معنيين ؛ الأمارة و العلامة ، و الثاني الاِضطراب، فالدال ، و اللام ،أصلان أحدهما تبيين الشيئ بأمارة ، أو علامة تعيينه ، و الآخر اِضطراب في الشيئ . [1]

فمن الأول دلالة الضّال على الطريق، والدليل الأمارة على الشيئ .

و الأصل الآخر إتيان دل بمعن إضطراب الشيئ ، ومن ذالك قول أوس ابن حجر :

أم من لحيٍ أضاعواْ بعض أمرهم ****** بين القسوط وبين الدّين دلدال [2] .

الدل و الهدي معنيان متقاربان؛ وهما من الأخلاق، ومنه السّكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشّمائل ، و في الحديث كان أصحاب عبد الله يرحلون إلى عمر رضي الله عنه فينظرون إلى سمته و دله فيتشبهون به [3] .

و يقال دلّه على الشيئ يدلّه دلاً ؛ و جهه ، و سدده إليه ، و نقول دللته فستدل ، و اندلّ، و الدليل ما يستدل به ، ودليل المسألة كذا ؛ أي مايستدل به عليها ، و الدليل الدال فدليل القوم من يدلهم على الطريق .

---

1 ــ إبن فارس ، معجم مقاييس اللغة مرجع سابق /ص 395

2ــ المصدر السابق ص 295-260

3ــ الجوهري اسماعيل بن حماد الفرابي (أبو نصر) (ت 393 ه) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ت أحمد عبد الغفور عطار ،دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الرابعة 1407 ه / 1987 المكتبة الشاملة 8 ذو الحجة 1431 ه . باب دللج 4 / ص 1698

و دله على الطريق ميّز له الطريق الذي يسلكه من غيره ، و عرفه به ، و دللت به أدل دلالة ، وأدللت بالطريق إدلالاً ، و يقال دلّه دَلالة ، و دِلالة ، و دَلولة و الفتح أعلى و جمع الدليل : أدلّة وأدلاء .[1]

ودله عليه دلالة و يثلث و دلولة فاندلّ : سدده إليه ، و الدليلي كخليفي الدلالة أو علم الدليل به و رسوخه [2] .

المطلب الثاني: مفهوم الدلالة في الاِصطلاح .

عُرفت الدلالة في الاِصطلاح ؛ بأن يكون الشيئ يلزم العلم بها العلم بشيئ آخر3 .

فأخذت بعض معناها اللغوي في معناها الاِصطلاحي؛ و هو أنّ الشيئ علامة على شيئ آخر، ككون اللفظ دليل على المعنى ، و لقد إهتم اللغويون العرب للدلالة ، و ما خلّفوه من مؤلفات يدل على ذلك الاِهتمام ، فقد ألفواْ في غريب القرآن الكريم ، و تقسيم الكلام إلى حقيقة و مجاز، وأنشاؤاْ المعاجم الموضوعية، و معاجم الألفاظ، و اهتدواْ لضبط المصحف بالشّكل ؛ لتسهيل اِستدلال الأعجمي على النّطق الصحيح بالكلمة ، كل هذا يدل على هذا الاِهتمام الذى صير كلمة دلالة مصطلحاً بعد أن كان لفظاً معجميًا ، و تعدُد جوانب الإهتمام يتمثل فيما يأتي :

أ – إرجاع المعاني الجزئية إلى أصلٍ يجمعها كالأصل دل ، وفسر ... .[4]

---

1 ــ ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، باب دلل ج 11 / ص249.

2 ــ الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، (أبو طاهر)(ت 817 ه)، القاموس المحيط ،ت مكتب التحقيق مؤسسة الرسالة ، ط مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الثامنة 1426 ه / 2005 م . المكتبة الشاملة ت ن في الشاملة 8 ذو الحجة 1431 ه . باب دلل ص 817

3ــ التهناوي ، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي (ت 1158 ه) ،موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ، ت علي دحروج ،مكتبة لبنان ناشرون بيروت ،الطبعة الأولى 1996 م ، المكتبة الشاملة ت ن في الشاملة 6 محرم 1433 ه . ج3 / ص 284

4ــ إبن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق .

ب – التفريق بين المعنى المجازي ، و المعنى الحقيقي للفظ [1] .

ج – تتبع تقلبات المادة الواحدة كمادة ك،ل،م و أنّها مهما تقلبت دلت على الشدة ، و القوة ك ل م ، ل ك م ، م ك ل ،م ل ك .

و لم يقل إهتمام الأصوليين بالدلالة عن اللغويين [2] :

فتناولواْ دلالة اللفظ ، و دلالة المنطوق ، و دلالة المفهوم ، و العموم و الخصوص ، و التخصيص والتقييد .

و البلاغيون درسواْ الحقيقة ، و المجاز ، و الأمر و النهي ، و نظرية النظم و غيرها .

و قسمواْ الدلالة إلى خمسة أنواع ((دلالة اللفظ ، ثمّ الإشارة ،ثمّ العقد ،ثمّ الخط ،ثمّ الحال التي تسمى نصية ، و الغير النصية ؛ و هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف)) 3 .

و مما يدل على حضور الدلالة في التفكير الإنساني ، فهي قديمة بقدمه ، تطرق الفلاسفة اليونان ، والهنود للدلالة، حيث تكلمواْ عن الفرق بين الصوت ، و المعنى و عن تطابقهما ، و ناقشواْ الفرق بين الأشياء في العالم الخارجي ، و تصوراتِها في الذهن (المعنى) ، و الأصوات الدالة عليها (الرموز و الكلمات) .

---

[1]_ ينظر الزمخشري (ت 538) ، أساس البلاغة ، مرجع سابق .

[2]_ إبن جني ، عثمان بن جني (أبو الفتح)الموصلي ، الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط الرابعة ، المكتبة الشاملة ، ت ن في الشاملة 08 ذو الحجة 1431 ه .

2_ الجاحظ ، عمر بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي (أبو عثمان)، ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال بيروت عام النشر 1423 ه ، المكتبة الشاملة ت ن في الشاملة 8 ذو الحجة 1431 ه . ج 1 = 79

و ذهب الهنود إلى دراسة العلاقة بين اللفظ ، و المعنى ، فناقشوها و درسوها فأسفرت دراستهم عن أنواع من الدلالة للكلمة ، جعلوها أربعة هي :

1- دلالة عامة شاملة ، كدلالة (رجل) .

2- دلالة على الكيفية (طول) .

3- دلالة على الحدث (جاء) .

4- دلالة على الذات (محمد) .

و خلص الهنود إلى أهمية السياق في إيضاح المعنى ، أو بعبارة أخرى دلالة السياق على المعنى و هو ما ناقش فيه علماءُ اللغة العربية الفلاسفة .[1] فقرروا أنّ اللفظة تختلف دلالتها باختلاف تداولها في سياقات مختلفة ، و هو ما انطلق منه درس اللغوي الحديث و ظهر ما يسمى الآن بالتداولية .[2]

[1] ــ ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني ، الرسالة التدمورية ، مكتبة السنة المحمدية

[2] أحمد مختار عمر ، علم الدلالة مرجع سابق ص 17 ــ 18-19 -20 -21

المبحث الثالث : مفهوم التفسير و التأويل لغة ،واِصطلاحاً، والفرق بين التفسير والتأويل .

يُعبِر علماء التفسير بلفظي التفسير، و التأويل ، أثناء تفسيرهم للآيات ؛ لذ سنعرض معنى اللفظين لغةً و اِصطلاحاً .

المطلب الأول: التفسير لغةً

يتعلق معنى التفسير في اللغة بمادة الفَسر و التي تدور حول الإبانة ، و الكشف ، و إظهار المعنى ، و فسر مثل ضرب و نصر، يقال : فسرَ يفسِر .

بالكسر و يفسرُه بالضم فسرًا ، و فسره : أبانه ، و التفسير و الفسر كشف المغطى في المحسوسات . و التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل في المعاني ، و في القرآن: {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً}[1] .

و منه : سفرت المرأة سفوراً : إذا كشفت و جهها بوضع خمارها ، فهي سافرة ، و أسفر الصبح إذا طلع فظهر و بان ، و من الفسر و التفسرة نظر الطبيب الى الماء و حكمه[2] .

و من معاني التفسير كشف المغطى ، و التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل [3].

المطلب الثاني: التفسير اِصطلاحاً .

و ردت عدة تعريفات للتفسير بعضها موسع أدخل أصحابه علم القراءات، وعلم اللغة الذي يحتاجه المفسر ، و علم الناسخ ، و المنسوخ ، و أسباب النزول . [4]

---

[1] الآية 33 سورة الفرقان .

[2] – إبن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ج4/ص504 (فسر)

[3]ـ ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ج5/ص59.

[4] أبوحيان ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (أثير الدين) الأندلسي (ت 745 ه)الأندلسي ، البحر المحيط في التفسير، ت صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت الطبعة 1420 ه المكتبة الشاملة ت ن في الشاملة 8 ذو الحجة 1431ه.

بينما ضيق البعض في تعريف التفسير فقال (علم يُفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ : و بيان معانيه ، و اِستخراج أحكامه و حكمه) [1] فجعل التفسير متعلق بفهم معاني القرآن ، و استنباط أحكامه .

و التأويل في اللغة : أصله من الأول ، و هو الرجوع إلى الأصل ، يقال : آل إليه ، و يؤول إليه ، ومآله كذا ، و يقال : أوَّل الكلام تأويلًا ، و يتأوَّله تأوّلاً إذا دبّره، و قدَّره ، و فسَّره .

أما في الاِصطلاح فله معنيان :

1- تأويل الكلام : معناه الذي يُشرح ، و يُبين به على أنّه المراد به ، بمعنى ما أوَّله إليه المتكلم ، أو ما يؤوَّل إليه الكلام ، و يُرجع إليه ، و الكلام إنّما يرجع و يعود إلى حقيقته التي هي عين مقصود المتكلم ، و مراده به ، و يكون إما إنشاء أو إخباراً ، و من الإنشاء : الأمر.

فتأويل الأمر: هو الفعل المأمور به ، و من ذلك ما رُوِي عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: " كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول في ركوعه ، و سجوده : سبحانك اللهم ، و بحمدك اللهم اغفر لي ، يتأوَّل القرآن " [2] ، تعني قوله تعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً}[3]

و تأويل الأخبار: هو و قوع ما أفادت من أخبار ، كالإخبار بقيام الساعة تأويله قيامها ، و رؤية الأمور الغيبية من جنّة ، و نار ، و صراط ، و ميزان تأويل للإخبار عنها في الدنيا .

2- تأويل الكلام : أي تفسيره و بيان معناه ، و من ذالك قول المفسيرين : " القول في تأويل قوله تعالى كذا و كذا " ، و بقولهم : " اختلف أهل التأويل في هذه الآية " فإن مراده التفسير.

---

[1] الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، مرجع سابق ج 1 / ص13 .

[2] ــ رواه البخاري ومسلم.

[3] ــ الآية 3 النصر:

و ظهر للتأويل في عرف المتأخرين معنى آخر ؛ هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به ، و هذا متنازع فيه بين مجيز و مانع .

المطلب الثالث : الفرق بين التفسير والتأويل .

روي عن أبي بن كعب ، و ابن مسعود ، و ابن عباس ، و غيرهم أن التفسير على أربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها ، و تفسير لا يعذر أحد بجهله ، و تفسير تعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله ، و من ادعى علمه فهو كاذب .

و لماكان التأويل يأتي بمعنى التفسير في بعض الأحيان فرق العلماء بين التأويل ، و التفسير فذكرواْ للتأويل أربع معاني أحدها صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح ، لدليل يقترن به ، و هذا معنى التأويل عند متأولي آيات الصفات ، و تاركي تأويلها .

و الثاني التأويل يعني التفسير و هو الذي يريده المفسرون في غالب إطلاقهم للتأويل كما يقول ابن جرير و أمثاله من أهل التفسير .

و الثالث التأويل الذي يعني الحقيقة التي يؤول إليها الكلام قال تعالى : ﴿ هَل يَنظُرُونَ إِلَّا تَأوِيلَهُۥۚ يَومَ يَأتِي تَأوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبلُ قَد جَاءَت رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشفَعُواْ لَنَا أَو نُرَدُّ فَنَعمَلَ غَيرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعمَلُۚ قَد خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم وَضَلَّ عَنهُم مَّا كَانُواْ يَفتَرُونَ ﴾ [1] فتأويل الآيات المخبر بها عن الغيبيات هو ما ذكره الله في الإخبار عن الجنة ، و النار ، و العذاب و النعيم ، و كما في قصة يوسف لما سجد له أبوه ، و إخوته ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيهِ عَلَى ٱلعَرشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأوِيلُ رُءيَايَ مِن قَبلُ قَد جَعَلَهَا رَبِّي

[1] الآية 53 سورة الأعراف .

حَقّا وَقَد أَحسَنَ بِي إِذ أَخرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ ٱلبَدوِ مِن بَعدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيطَٰنُ بَينِي وَبَينَ إِخوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيف لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلعَلِيمُ ٱلحَكِيمُ ﴾[1] فجعل ماوقع تأويل لما رأى في الرؤيا .

و أمّا الرابع : من المعاني التي يأتي بها التأويل، فهو التفسير الذي يبين به الشيئ حتى يعقل معناه ، و يعرف سببه و مرده ، و هذا التأويل هو عين ماهو موجود في الخارج و منه قول عائشة رضي الله عنها ((كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : في ركوعه ، وسجوده سبحانك اللهم ربّنا، وبحمدك، اللهم اغفرلي)) يتأول القرآن ، قوله ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾[2]، وقول سفيان ابن عيينة : السنة هي تأويل الأمر ، و النهي ، فإن نفس الفعل المأمور به ، هو تأويل الأمر به، ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر ، والكلام خبر وأمر.[3]

فمن خلال هذ التقسيم نرى أن التأويل في نوعه الثاني يرجع إلى التفسير، وهو الذي نرمي إليه من خلال بحثنا و هو الذي يستعمل المفسرون السياق فيه عند الترجيح [4].

---

[1] الآية 100 سورة يوسف .

[2] الآية 3 سورة النصر .

3 بن تيمية ، الرسالة التدمورية ، مرجع سابق ص 33 _34 .

[4]_ القطان ، مناع بن خليل (ت 1420 ه) ، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة المعارف ، الطبعة الثالثة 1421 ه / 2000 م ، المكتبة الشاملة تن في الشاملة 8 ذو الحجة 1431 ه .

المبحث الرابع: مفهوم الضمير لغةً ،و اِصطلاحاً ، و أشكاله و قواعد ترجيحية متعلقة بالضمير

الضمير له قيمته في إبراز جمالية ، و إعجاز القران الكريم ؛ و ذلك لتعدد دلالات العبارة الواحدة بتعدد اِحتمال مرجعه[1] .

ولما كان هذا التعدد يعطى فرصة للمفسر لإقحام مذهبه ، و ما هو موضوعياً أو غير موضوعي، حرص النحويون على ضبط صور عود الضمير ، و تقييده إلا إنّه ظل المجال مفتوحاً ؛ لأنّ مرجع الضمير قد تُحدده قرائن خارجية كسياق الحال ، و السياق اللغوي ، لذا سنتعرف على الضمير لغةً و اِصطلاحاً ونذكر أنواعه ، و بعض ضوابط الترجيح لمرجعه .

المطلب الأول: الضمير لغةً .

تحوي كلمة الضمير معنيين ؛ هما التستر و الخفاء ، و الدقة ، فالضاد و الميم و الراء أصلان ترجعهم المعاجم إلى معنيين أحدهما دقة الشيئ و الآخر تستره [2] .

ومناسبة تسميت الضمير بالضمير ؛ هي قلة حروفه ، و ضموره في مبناه إذ أنّ أكثر الضمائر موضوعة على حرف نحو "ت " المخاطبة ، و المتكلم أو حرفين نحو " نا " للمتكلم و معه غيره ، أو المعظم نفسه ، و الخفاء في معناه لأنّه يحتاج معه إلى مرجع يرجع إليه حتّى يظهر معناه ، والمراد به[3].

1_ ابن الحاجب ، أبو عمرو عثمان ، أمالي بن الحاجب ، ت فخر صالح سليمان قدارة ، دار الجيل بيروت ، دار عمان ت ن 1409 ه / 1989 م . 2ج/ص772 .

2 _ إبن فارس ، معجم مقاييس اللغة ،مرجع سابق .

3 _ القرافي ، شهاب الدين أحمدبن إدريس بن عبد الرحمان(أبو العباس)المالكي (ت 684 ه) ، شرح تنقيح الفصول ، ت طه عبد الرؤوف سعد ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ،الطبعة الأولى 1393 ه / 1983 م ، المكتبة الشاملة ت ن في الشاملة _ ذو الحجة 1431 ه ص33/ص34

و قلة حروفه باعتبار أكثره ، و إلا فهناك ضمائر كثيرة الحروف نحو إياك ، و إياكم ، و إياكن[1] .

المطلب الثاني: الضمير اِصطلاحاً .

وبعد أن عرفنا الضمير في اللغة سنعرض الضمير عند النحويين و أنواعه .

جاء في الخلاصة :

و ما لذي غيبة أو حظور === كأنت و هو سمي بالضمير2 .

و يؤخذ منه أن الضمير ؛ ما و ضع للمتكلم ، و المخاطب لأنّهما حاظران ، أو للغائب لعدم حظوره.

هو الذي ، وُضع لتعيين مسماه محتوياً على ما يدل على كونه متكلماً ، أو مخاطباً ، أو غائباً 3 .

فيشترط في الضمير أن يطابق مسماه في التذكير ، و التأنيث ، و في التكلم ، و المخاطبة ، و الغيبة.

فالضمير ثلاثة أنواع : ما و ضع للمتكلم نحو أنا ، و نحن ، أو مخاطب نحو: أنت ، و أنتما أو غائب نحو هو ، و هما ، و العرب إنّما تضمر لأجل الاِختصار ، و إيجاز العبارة ؛ فإنّ العربي يورد الاسم الظاهر فإذا أراد الإسناد إليه أشار إليه بلفظ قليل ، و اجتنب تكراره ، فمعناه مستقر في ذهن السامع مسبقا ، فلا يضمر العربي إلا إذا كان قد بيّن للسامع ، و فسر له ما أضمره مسبقاً .

---

[1] ــ ابن هشام ، جمال الدين أبي محمد بن يوسف (ت 708/ 761ه) ، شذور الذهب في معرفة كلام العرب، إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة الأولى 1422 / 2001 م .

2ــ ابن مالك ، محمد بن عبد الله (أبو عبد الله) الأندلسي(ت 762 ه) الخلاصة في النحو ، ألفية ابن مالك ، ت عبد المحسن بن محمد القسم ، الطبعة الرابعة 1442 ه / 2021 م ، المكتبة الشاملة تن في الشاملة 17 جمادى الآخرة 1443 ه.

3 ــ ناظر الجيش ، محمد بن يوسف بن أحمد (محب الدين) ، تمهيد القواعد بشرح بتسهيل الفوائد ص =ج1 =447 دار السلام

لهذا فالضمير معرفة بل هو أعرف المعارف، لأنّ المتكلم إنّما يضمر اسماً ، إذا علم أن من يحدث عرف ما يعني ، و المضمر مبين في الحديث مسبقاً [1].

و اِستخدام الضمير في الكلام إنّما يقوم على ركنيين الاسم الظاهر المتقدم، والضمير المتأخر الغائب ؛ لأن الاِلتباس الذي يعتري بعض الضمائر بسبب عودها على مختلف ، يلزم إعادتها على متقدم حتّى يزول اللبس .

وتبيين المفسر ، و تحديد الضمير ، و مرجعه أمر لابد منه ، حتّى تتضح المعاني ، و تنكشف حقيقة الكلام ، و معناه ، و الجملة ، و اللفظة في القرآن الكريم إنّما تُفهم ، و تعرب في سياقها الذي وردت فيه على ضوء ما سبقها ، و يلحقها ، و هو ما يعبر عنه بالسباق ، و اللحاق ، و هو عينه السياق اللغوي2 .

المطلب الثالث: أنواع الضمائر:

تأتي الضمائر في اللغة على نوعين، متصل ، ومنفصل ؛ فالمتصل دائم الاتصال بالكلمة، لا ينفصل عنها بحال، كقولنا أبوك ، و ضربك ، ومربك ، وهو على قسمين : ظاهر، ومستتر، فالظهار ما نُطق به كالكاف في أخوك .

والمستتر ما نوي كالذي في زيد ضرب ، والمنفصل ما جرى مجرى المظهر في اِستقلاله كقولك هو، و أنت .

---

1 سيبويه ، عمرو بن عثمان ، (أبو بشر)، الكتاب ،تحقيق عبدالسلام ، هارون مكتبة الخانجي القاهرة ط الثالثة 1408 ج 2، ص6 .

2 السيف ، محمد عبدالله بن حمد ، الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم جمعا ودراسة ، دار التدمرية ج 1 ص 109، ص112 .

وهو يدخل في ضمائر المتكلم، والمخاطب، والغائب فيأتي مذكراً، ومؤنثاً، ومفرداً، ومثنى ومجموعاً، متصلاً، ومنفصلاً في أحوال الإعراب إلا حال الجر فإنّه لا يأتي منفصلاً .

فمثال المرفوع المتصل قولنا ضربتُ ضربنا وضربتَ إلى ضربتن ، و زيد ضرب إلى ضربن، وفي منصوبه ضربني ، ضربنا ، و ضربك إلى ضربكنّ ، و ضربه إلى ضربهنّ ، وفي مجروره غلامي، وغلامنا ، و غلامك إلى غلامكنّ ، و غلامه إلى غلامهنّ ، و تقول في مرفوع المنفصل أنا نحن ، وأنت إلى أنتنّ ، و هو إلى هنّ ، و في منصوبه إيّاي إيّانا ، و إيّاك إلى إيّاكنّ ، و إيّاه إلى إيّاهن . [1]

ضمير الفصل:

و ضمير الفصل؛ ما توسط بين المبتدأ، وخبره قبل دخول العوامل اللفظية ، و بعده إذا كان الخبر معرفة ، أو مضارعاً له في امتناع دخول حرف التعريف عليه قال تعالى: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾[2]، وقال تعالى: " ﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيهِم ﴾[3]، وقال : ﴿ وَلَا يَحسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبخَلُونَ بِمَا ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضلِهِۦ هُوَ خَيرا لَّهُم ﴾ [4] "، ويقرؤون : " ﴿ وَمَا ظَلَمنَٰهُم وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [5] .

---

[1] ـ الزمخشري ، أبو القاسم ، محمود بن عمر ، (جار الله) ، (ت 538)، المفصل في صفة الإعراب ت علي بن ملحم ، مكتبة الهلال بيروت ،الطبعة الأولى 1993 م ، المكتبة ص 166

[2] الآية32الانفال

[3] الآية 117 سورة المائدة .

[4] ـ الآية180آل عمران

[5] ـالآية 76 سورة الزخرف .

ضمير الشأن:

ويتقدم قبل الجملة ضميرٌ يقال له ضمير الشأن و القصة ، و يسمى المجهول عند الكوفيين و هو مثل زيد منطلق أي الشأن و الحديث زيد منطلق ، و مثل قوله عز و جل : ﴿قُل هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾الآية [1] وقد يكون متصلاً وبارزاً في مثل ظننته زيد قائم، وحسبته قام أخوك، وفي التنزيل : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبدُ ٱللَّهِ ﴾ [2] ، ﴿مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيق مِّنهُم ثُمَّ تَابَ عَلَيهِم إِنَّهُۥ بِهِم رَءُوف رَّحِيم ﴾ [3] .

ويتبع الكلام في التأنيث مثل قوله تعالى :﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعمَى ٱلأَبصَٰرُ وَلَٰكِن تَعمَى ٱلقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [4]، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَم يَكُن لَّهُم ءَايَةً أَن يَعلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِي إِسرَٰٓءِيلَ﴾[5]. [6]

المطلب الرابع . قواعد ترجيحية متعلقة بالضمير .

القاعدة الأولى :

(إذا أمكن حمل الضمير على غير الشأن فلا ينبغي حمله عليه) .

إذا أُختلف في الضمير بين المفسرين هل هو ضمير الشأن، والقصة، أو ليس ضمير الشأن، وكان القول بأنّه ليس ضمبر شأن له وجه في العربية، والسياق، فلا يقال أنّه ضمير شأن .

---

[1] ــ الآية 1 الإخلاص

[2] ــالآية 19 الجن

[3] ــ الآية 117 سورة التوبة .

[4] الآية 46 الحج .

[5] الآية 19 سورة الشعراء .

[6] الزمخشري ، المفصل ، مصدر سابق /ص 173

إيضاح ألفاظ القاعدة: ضمير الشأن هو ضمير يأتي على صورة الغائب المفرد ، مبهما ثمّ يفسر ؛ و يقصد بذالك تعظيم الأمر و الشأن [1] .

لفظ ((ينبغي)) جاء في القرآن و السنة يدور بين معنى الوجوب و الاِستحباب ، و يستعمله العلماء في الوجوب أكثر فقولهم لاينبغي أن يحمل عليه ؛ أي لايجوز الحمل عليه إذا أمكن حمله على غيره بوجه صحيح . [2]

القاعدة الثانية:

((إعادة الضمير على مذكور أولى من إعادته على مقدر))

معنى القاعدة : إذا إحتمل السياق عود الضمير إلى مذكور ، أو مقدر، و اختلف في ذالك المفسرون فالأولى حمله على المذكور . [3]

القاعدة الثالثة :

((إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره))

معنى القاعدة : إذا تعددت إحتمالات عود الضمير فإرجاعه إلى المحدث عنه أولى من غيره.

قد تتنازع هذه القاعدة مع قاعدة عود الضمير على أقرب مذكور ، فقد رجح العلماء حمله على المحدث عنه ما لم تدل قرينة على العكس .

1_ بناظر الجيش (ت 778 ه)،تمهيد القواعد ، مرجع سابق ج1 / ص162_163 .

2- حسين بن علي بن حسين الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية ، دار القاسم ، ج2 / ص 585 _ 586 _587

3 المصدر السابق ج 2 / ص

إيضاح ألفاظ القاعدة : (المحدث عنه) ؛ هو أحد جزئي الإسناد ، و غير المحدث عنه ما كان فضلة لا عمدة 1 ، و اختلف العلماء في عود الضمير إلى المضاف أو المضاف إليه باعتبار أن المضاف هو المحدث عنه ، أو إلى المضاف إليه باعتبار أن المضاف إليه هو أقرب مذكور ، فذهب الجمهور إلى إلى عوده إلى المحدث عنه و هو المضاف . 2

القاعدة الرابعة :

((توحيد مرجع الضمير في السياق الواحد أولى من تفرقهما)) .

معنى القاعدة : أنّه إذا صح أن تعود مجموعة من الضمائر_ وردت في الآية أو الجزء المفسر _ على مراجع متعددة ، فحملها على مرجع واحد أولى من تفرقها حتى ينسجم السياق ، ويتسق النظم3

القاعدة الخامسة :

((الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور مالم يرد دليل بخلافه)) .

معنى القاعدة: إذا جاز عود الضمير على قريب في الذكر، وبعيد، فإرجاعه إلى أقرب مذكور أولى من إرجاعه إلى البعيد، إلا إذا تنازعت قواعد الترجيح ، فترجح قاعدة على أخرى.[4]

وقد تدل قرينة السياق على إرجاع الضمير للبعيد دون القريب، فيعمل بها [5] .

1أبوحيان الأندلسي ، البحر المحيط ،مرجع سابق ج 3 / ص 288 .

2 ينظر الحربي، قواعد الترجيح مصدر سابق ج 2 / ص 606_ 607

3 نفس المصدر ج2 / ص 613

4 نفس المصدر ج2 / ص 621

5 نفس المصدر ج2 / ص 623

الفصل الثاني

نماذج تطبيقية مختارة من القرآن الكريم

المبحث الأول: عود الضمير على أقرب مذكور.

أ ـ قوله تعالى ـ ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا يَخرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَاب مُّختَلِفٌ أَلوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَاء لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَة لِّقَوم يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ٦٩

في الآية ضمير الغائب "الهاء" يصلح أن يعود على الاسم "شراب " ، و جاء في سياق القرآن العام وصف القرآن بأنّه فيه شفاء ، قال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلقُرءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحمَةٌ لِّلمُؤمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴾[1] فاختلف أهل التأويل في مرجع ضمير الغائب " الْهَاء" الَّتِي فِي قَوْله: {فِيهِ} .

فقال بعضهم: عائد على القرآن، وهو المراد به؛ لأنّ القرآن وُصف أنّه فيه شفاء للنّاس في قوله تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلقُرءَانِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحمَةٌ لِّلمُؤمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارا ﴾ ، فسياق القرآن العام يفسر مرجع الضمير بالقرآن ، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ وَالضَّحَّاكِ وَالْفَرَّاءِ وَابْنِ كَيْسَانَ [2] الليث ، و مجاهد [3].

وذهب آخَرُونَ إلى أن الضمير في ((فيه)) عائد على العسل ، و هو المراد به [4]، وستندوا في قولهم لعدت سياقات، سياق الكلام، وسياق نحوي، وسياق خارجي، فالسياق عندهم دل على رأيهم من ثلاثة أوجه:

---

[1] ٨٢ الإسراء

[2] ـ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ج10 / ص 136 .

[3] ـ ينظر الطبري ، جامع البيان مصدر سابق ج 17 / ص 249_250 البغوي ج5 / ص 29 والزمخشري ج 2 / ص 618

[4] ـ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ج 10 / ص 136 .

_**الوجه اللأول** : قالوا سياق الكلام يدل على أن الضمير يعود على العسل ؛ لأن الكلام و الإخبار عنه فهو المتحدث عنه ، و هو أولى بعود الضمير (وَ هَذَا الْقَوْلُ، أَعنِّي قَوْلَ قَتَادَةَ، أَوْلَى بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ لِأَنَّ قَوْلَهُ: {فِيهِ} فِي سِيَاقِ الْخَبَرِ عَنِ الْعَسَلِ، فَأَنْ تَكُونَ الْهَاءُ مِنْ ذِكْرِ الْعَسَلِ، إِذْ كَانَتْ فِي سِيَاقِ الْخَبَرِ عَنْهُ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ) [1]

_**الوجه الثاني** : أنّ الضمير يعود على أقرب مذكور، و أقرب مذكور هو شرابٌ مختلفٌ الوانه و هو العسل .

_**الوجه الثالث** : سياق الآيات السابقةِ الذاكرةِ للنّعم ؛ الأنعام ، و النخل ، ثمّ النحل [2]

وأظافوا دليلا من السياق الخارجي فقالو: و على ذالك دليل من سياق خارجي ؛ و هو الحديث الذي رواه أبوسعيد الخدري روى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: أَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: إِنَّ أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: قَدْ سَقَيْتُهُ فَلَمْ يُغْنِ [3] .

ومما سبق يتبين أن الرأي الأول هو الراجح ؛ و ذالك لأنّه حتى و إن صح معنى وجود الشفاء في القرآن في آيات أخر، إلا أن هذه الآية الضمير يعود فيها للعسل ؛ لأنه متحدث عنه ، و هو أقرب مذكور، و القاعدة أن عود الضمير على المتحدث عنه أولى من غيره ، و الضمير يعود على أقرب مذكور ما لم تصرفه قرينة إلى الأبعد ، و سياق الآيات و سياق السورة المعدد للنعم كله يدعم القول بعود الضمير على العسل، و كذالك مطابقة الضمير لمرجعه في التذكير والله أعلم .

[1] _ أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، مصدر سابق ج 6 / ص 553

[2] أبوحيان الأندلسي ، البحر المحيط في التفسير ،مصدر سابق ج 6 / ص 553

[3] رواه البخاري 5360 _ مسلم ، 91

ب ـ قوله تعالى ـ ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ١٠٠﴾

ورد في الآية ثلاثة ضمائر للغائب " الهاء " الضمير المتصل بكلمة " سلطانه "، وضمير الغائب " الهاء " المتصل بفعل " يتولون " وضمير الغائب الهاء المتصل بحرف الجر "الباء"، الأول والثاني اتفق على أنّهما يعودان على الشيطان ، واختلف في الثالث ، هل يعود على اسم الجلالة "الله" المذكور في الآية التي قبلها ، و تدل عليها قرينة الإشراك ، أم على الشيطان الذي هو أقرب مذكور، وعادت عليه الضمائر الأخرى .

فذهب بعض المفسرين إلى أن الضمير يعود على اسم الجلالة الله [1]، واستدلوا بقرينة الإشراك المذكور في الآية ، و الإشراك لايكون إلا بالله .

وذهب غيرهم إلى **أنّ** الضمير الغائب " الهاء " المتصل بحرف الجر" الباء " يعود على الشيطان [2]، يدل علىه سياق القرآن العام ، حيث جاء في القرآن مَعْنَى كَوْنِهِمْ مُشْرِكِينَ بِهِ أَنّها طَاعَتُهُمْ لَهُ فِي الْكُفْرِ وَ الْمَعَاصِي ; كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [3] ، وَ قَوْلُهُ عَلى لسان إِبْرَاهِيمَ عليه السلام : ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّا ﴾ [4] ، و قاعدة تطابق الضمائر أولى من تفرقها تدعم القول برجوعه إلى الشيطان؛ لأنّ كل الضمائر في الآية عائدة إلى الشيطان ، فالأولى مطابقة الضمائر .

---

[1] الزمخشري (ت 538)، الكشاف . مصدر سابق ج 2 / ص 633

[2] ـ المصدر السابق ج 2 / ص 633 .

[3] ـ الآية 60 سورة يس .

[4] الآية 44 سورة مريم .

والذي يظهر أن الرأي الثاني هو الراجح ، و ذلك لتطابق الضمائر فيه ، و هو أولى من تفرقها؛ لأنّه يحافظ على حسن نسق القرآن ، و لأن الشيطان أقرب مذكور ، و القاعدة تقول عود الضمير على أقرب مذكور أولى من عوده على البعيد ، و السياق القرآني الذي دل على معنى الإشراك بالشيطان ، هو عبادته ، فبطلت قرينة التي استدل بها أصحاب الرأي الأول، والله أعلم .

المبحث الثاني: عود الضمير على البعيد بدل القريب لعلة .

أ_ قوله تعالى: ﴿ وَقَد أَضَلُّواْ كَثِيرا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلا ﴾ [1]

جاء في الآية ضمير جماعة المذكر، و هو " الواو " من قوله " أضلواْ " ويصلح أن يعود على رؤساء القوم ؛ حيث أمرواْ ضعفاء القوم أن لايترك عبادة ما كان يعبد أباؤهم ، و يصلح أن يعود على الأصنام ؛ حيث إعتقد فيها عابدوها أنها أهل للعبادة ، فعبدوها من دون الله ، كما جاء في قوله عزوجل: _على لسان إبراهيم _ ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضلَلنَ كَثِيرا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ ﴾ [2] .

لهذا إختلف أهل التأويل في مرجع الضمير، فذهب بعضهم إلى أنّ ضمير الجمع "الواو " في الفعل " أضلوا " عائد على الرؤساء [3]، و ذالك لدلالة السياق الخاص بالسورة عليه؛ و هو أن الآيات ذكرت مكر الكبراء ، و قولهم للضعفاء ؛ إلتزمواْ عبادة أصنامكم ، و نهوهم أن يذرواْ عبادتها قال تعالى على لسان الكبراء ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُم وَلَا تَذَرُنَّ وَدّا وَلَا سُوَاعا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسرا ﴾ [4]

وقالواْ أنّ الرؤساء هم المتحدث عنهم، وبالتالى هم أولى برجوع الضمير عليهم؛ لقاعدة عود الضمير إلى المتحدث عنه أولى من غيره، وكذلك سياق القصة يدل عليه؛ وهو شكوى نوح لربّه ما فعله الكبراء من المكر به، ورد دعوته، وتحريض السفهاء على عدم الإيمان بدعوته، والتزام عبادة الأصنام ، و عدم تركها إلى عبادة الله وحده .

---

[1] الآية ٢٤سورة نوح .

[2] الآية 36 سورة إبراهيم

[3] الزمخشري ، المفصل في صفة الإعراب مصدر سابق ج 4 / ص 619 .

[4] الآية ٢٣سورة نوح .

وذهب آخرون إلى أنّ ضمير الجمع الواو في الفعل أضلواْ عائد على الأصنام أفتتن بها عابدوها و ظنواْ أنّها أهلا للعبادة ، فعبدوها من دون الله [1]، و دليلهم السياق العام للقرآن الكريم، حيث نُسب الإضلال للأصنام في قصة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضلَلنَ كَثِيرا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ ﴾[2] ، و استدلوا بسياق الحال ؛ و هو أن النّاس عبدت الأصنام ، و استمرت عبادتها في العرب ، و العجم إلى يوم النّاس هذا .

و الذي يظهر من خلال الرأيين ، و أدلتهم أن الرأي الأول هو الأصوب و أن الضمير راجع للرؤساء ؛ لأنّهم هم المتحدث عنهم ، و القاعدة تقول لايعدل عن إرجاع الضمير إلى غير المتحدث عنه ، إلا بقرينة ، و ليس هناك قرينة تصرف عود الضمير لغير المتحدث عنه ، بل هناك قرائن تدعم عوده للمتحدث عنه ، و هي السياق الخاص بالسورة و الآية ، و به يرد استدلال أصحاب الرأي الثاني بالسياق العامة للقرآن ، و الله أعلم .

ب ــ قوله تعالى : ﴿ وَشَرَوهُ بِثَمَنِ بَخس دَرَٰهِمَ مَعدُودَة وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠ ﴾

إشتملت الآية على مجموعة من ضمائر الغائب و هي ضمير " الهاء " المتصل بالفعل " شروا " و ضمير الجمع "هم" و ضمير الغائب " الهاء " المتصل بحرف الجر "في "، و اختلف في مرجع ضمير الغائب " الهاء " المتصل بالفعل " شروا " .

فقال بعض المفسرين أنّ الضمير عائد على إخوة يوسف، وشروه بمعنى باعوه؛ أي رجعوا وباعوه للسيارة ، بعد أن أخبروهم أنّه عبد آبق منهم [3]، وأشاروا إلى أنّ سياق القصة يدل على

[1] ــ الرازي ، مفاتح الغيب ، مصدرسابق ج 2 / ص 368 .

[2] الآية 36 سورة إبراهيم

[3] الطبري ، جامع البيانمصدر سابق ج 15 / ص 17 .

ماذهبوا إليه ؛ و هو أنّ إخوة يوسف عادوا ، فباعوه للسيارة على أنّه عبد آبق لهم ، و كذلك السياق اللغوي في كلمة شروه ؛ و أنّها تعني البيع ، و لا تعني الشراء فقال بعضهم : (وَمَنْ فَسَّرَ شَرَوْهُ بِاشْتَرَوْهُ أَخْطَأَ خَطَأً أَوْقَعَهُ فِيهِ سُوءُ تَأْوِيلِ قَوْلِه: وَكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ. وَمَا ادَّعَاهُ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ شَرَى وَاشْتَرَى مُتَرَادِفَانِ فِي مَعْنَيَيْهِمَا يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّي أَنَّهُ وَهَمَ إِذْ لَا دَلِيلَ يَدُلُّ عَلَيْهِ) [1] .

سياق الحال ؛ استبشار السيارة حين و جدوه يتنافى مع الزهد فيه قالوا : (لِأَنَّ السَّيَّارَةَ اسْتَبْشَرُوا بِهِ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً، وَلَوْ كانوا فيه زاهدين لما اشتروه ، فترجح من هذا أن الضمير في شَرَوْهُ إِنَّمَا هُوَ لِإِخْوَتِهِ) [2]

بينما أرجع آخرون الضمير في شروه للسيارة [3]، وحجتهم أنّ السيارة أسروه بضاعة أي أخفوه عل رفقائهم حتى لا يشاركوهم الصفقة ، ثمّ باعوه بثمن بخس، و كلامهم في ذالك (وَأَسَرُّوهُ بِضاعَةً يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ أَسَرُّوهُ حَالَ مَا حَكَمُوا بِأَنَّهُ بِضَاعَةٌ ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَلِيقُ بِالْوَارِدِ لَا بِإِخْوَةِ يُوسُفَ)[4] ، و قالوا أنّ إنتظام سياق القصة، يقتضي أن لا تتكرر المشاهد ، و عودة إخوة يوسف ، و بيعهم إيّاه للسيارة فيه تكرر المشاهد، وهو ما يتنافى مع إنتظام سياق القصة .

والذي يظهر أن القول الثاني هو الراجح ؛ و الضمير عائد على السيارة ؛ و ذلك لأنّه وإن كان سياق الحال يدعم القول الأول ؛ فحاجة إخوة يوسف_عليه السلام _ إلى إبعاده ، والتخلص منه و إخفاء أمره عن أبيه ، يجعلهم يزهدون فيه حتى يرغب في شرائه السيارة ، و استبشار السيارة

[1] _ بن عاشور ، تحرير وتنويرمصدر سابق ج 12/ ص 243 .
[2] بن كثير، تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ج 4 / ص 323 .
[3] الزمخشري ، الكشاف ، مصدر سابق ج 2/ ص 452 .
[4] _ الرازي ، مفاتح الغيب ، مصدر سابق ج 18 / ص 433 .

عند و جوده، وإسراره بضاعة، وبيعه للملك الذي هو مضنّة إكثار ثمنه ، يدل على عدم زهد السيارة فيه ، و هو حجة الفريق الأول فقد قالوا : (لِأَنَّ قَوْلَهُ: وَكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ إِنَّمَا أَرَادَ إِخْوَتَهُ لَا أُولَئِكَ السَّيَّارَةَ، لِأَنَّ السَّيَّارَةَ اسْتَبْشَرُوا بِهِ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً، وَلَوْ كانوا فيه زاهدين لما اشتروه، فترجح من هذا أنّ الضمير في شَرَوْهُ إِنَّمَا هُوَ لِإِخْوَتِهِ) [1] إلا أنّ سياق القصة ، واتساقه في تتابع مشاهده ، يلزم منه صحة القول الثاني والله أعلم .

[1] بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مصدر سابق ج 4 / ص 323 .

المبحث الثالث: تطابق الضمائر في المرجع الواحد

أ ـ قوله تعالى: ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [1] .

الآية فيها ضمائر الغائب " الهاء " متعددة، وبعضها يصح أن يعود على موسى ـ عليه السلام ـ؛ لأنّه المتحدث عنه، و بعضها يصح أن يعود على التابوت؛ لأنّه أقرب مذكور، وعلى موسى ـعليه السلام ـ ؛ لأنّه المتحدث عنه، وبكلا القولين قال بعض المفسرين .

فمن أعاد ضمائر الغائب " الهاء " كلها إلى موسى ـ عليه السلام ـ [2] دليله إتساق السياق؛ فعود الضمائر إلى مرجع واحد يكون فيه اتساق للسياق القرآني ، بينما تفرق المرجع لايدعم إتساق النظم و هو مايأباه الإعجاز القرآني .

وقال مخالفيهم الضمائرة عائدة لموسى ـ عليه السلام ـ إلا الضمير الغائب " الهاء " في فعل فألقيه الثاني ، و الثالثة ، فإنّهما راجعان إلى التابوت ؛ لأنّه أقرب مذكور ، و قالوا في الضميرين الثاني والثالث أنّهما عائدان للتابوت ؛ لأنّه أقرب مذكور ، و النحويون نصوا على أنّه إذا صلح عود الضمير للأقرب ، و للأبعد ، فعوده للأقرب أرجح .

وبالنظر إلى أدلة الفريقين فإنّه يترجح القول الأول و الضمائر كلها عائدة لموسى ـعليه السلام ـ؛ للقاعدة التي تقول بأنّ تطابق الضمائر في المرجع أولى من تفرقها ، و لموافقة التطابق للسياق القرآني ، الذي هو مظهر من مظاهر الإعجاز ، و سياق القصة كذلك يدعم ذالك ؛ فالقصة فيها أمر لأم موسى ـ عليه السلام ـ ، و إخبار لها عن مصيره ، و قلبها متعلق بموسى عليه السلام

[1] الآية (39) سورة طه

[2] أبوحيان الأندلسي ، البحر المحيط مصدر سابق ج 7 / ص 330

لا بالتابوت، وحتّى وإن كان الإلقاء للتابوت، فالضمير عائد لموسى باعتباره أنّه فيه وأنّه هو المتحدث عنه، كما أشار إليه أصحاب الرأي الأول بقولهم : (وَالضَّمَائِرُ كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى مُوسَى وَرُجُوعُ بَعْضِهَا إِلَيْهِ وَبَعْضِهَا إِلَى التَّابُوتِ فِيهِ هُجْنَةٌ لِمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنْ تَنَافُرِ النَّظْمِ فَإِنْ قُلْتَ: الْمَقْذُوفُ فِي الْبَحْرِ هُوَ التَّابُوتُ وَكَذَلِكَ الْمُلْقَى إِلَى السَّاحِلِ ، قلت: ما ضرك لو قُلْتَ الْمَقْذُوفُ وَالْمُلْقَى هُوَ مُوسَى فِي جَوْفِ التَّابُوتِ حَتَّى لَا تَتَفَرَّقَ الضَّمَائِرُ فَيَتَنَافَرَ عَلَيْكَ النَّظْمُ الَّذِي هُوَ أُمُّ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ)[1].

ب _ قوله تعلى : ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾[2]

الآية ورد فيها ضمير الغائب " الهاء " الذي هو في محل جر مضاف إليه ، و يصح أن يعود على الصواع ؛ لأنّه المتحدث عنه ، و يصح أن يعود على السارق ، و قال بعض المفسرين بعوده عاى الصواع ، و قال بعضهم بعوده على السارق أو فعل السرقة (السَّرَقِ) .

ذهب بعض المفسرين إلى أن ضمير الغائب " الهاء " المتصل بالاسم " جزاؤه " يعود على الصواع بتقدير محذوف ، و هو جزاء سرقته [3] ، دل على ذالك المقام (السياق) ، بتقدير مضاف هو سرقته ؛ أي ماجزاء سرقته دل على هذا التقدير المقام ، ودعموا هذا بتوحيد الضمائر الذي لا يتسنى إلا بإعادة الضمير على الصواع، وهو أولى من تفريقها كما هي القاعدة القائلة بذالك .

أما البعض الآخر من المفسرين، فجعل ضمير الغائب " الهاء " المتصل بالاسم جزاؤه، الواقع في محل مضاف إليه عائد على السارق، أو السَّرِقِ الذي يدل عليه ماقبله [4]، واستدلوا على ماذهبوا إليه بسياق الآية ، وهو سباق الآية ، فالكلام السابق يدل عليهما .

---

[1] أبوحيان الأندلسي ، البحر المحيط ،مصدر سابق ج 7 / ص 330

[2] الآية ٧٤ سورة يوسف

[3] الزمخشري ، الكشاف ، مصدر سابق ج 2 / ص 490 .

[4] أبوحيان الأندلسي ، البحر المحيط ، مصدر سابق ج 6 / ص 305 .

والذي يظهر أن الرأي الأول هو الصحيح ؛ و ذالك لسباق الآية ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴾[1] ولحاقها ﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] يدلان على ذالك ، ولقاعدة عود الضمير على ظاهر أولى من عوده على مقدر .

89 الآية 180 _ 181 سورة البقرة .

[1]_ الآية ٧٢_ ٧٣سورة يوسف .

[2]الآية ٧٥ سورة يوسف .

المبحث الرابع : عود الضمير على المعنى .

أ ــ **قوله تعالى** : ﴿كُتِبَ عَلَيكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلمَوتُ إِن تَرَكَ خَيرًا ٱلوَصِيَّةُ لِلوَٰلِدَينِ وَٱلأَقرَبِينَ بِٱلمَعرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلمُتَّقِينَ ١٨٠فَمَن بَدَّلَهُۥ بَعدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَا إِثمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيم﴾[1] .

الآية وردت فيها ضمائر الغائب "الهاء" المتصل بالفعل بدّل، والمتصل بالفعل سمع ، و المتصل بالاسم إثم ، و المتصل بالفعل يبدلون، واختلف في مرجع ضمير الغائب "الهاء " المتصل بالفعل بدّل، هل هو عائد على أمر الله الذي يدل عليه الفعل المبني لما لم يسمى فاعله " كُتِبَ " ، أو على الوصية، أو على المعروف . وكلها تصلح أن يرجع الضمير عليها.

فذهب أصحاب الرأي الأول إلى أن ضمير الغائب المتصل بالفعل بدّل عائد على أمر الله عز وجل[2]، و ذهب غيرهم إلى أن الضمير عائد على الوصية[3]، و بعضهم قال: (وَعَوْدُهُ عَلَى الْإِيصَاءِ أَوْلَى مِنْ عَوْدِهِ عَلَى الْوَصِيَّةِ، لِأَنَّ تَأْنِيثَ الْوَصِيَّةِ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ)[4] واستدلوا بالسياق اللغوي حيث يمكن عود الضمير المذكر على الوصية و إن كانت مؤنثة لإنّها بمعنى الإصاء، والسياق القرآني حيث جاءت فيه أفعال المراد مصادرها نحو قوله تعالى ﴿ اعْدِلُواهُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى﴾.[5]

---

[2] ــ أبوحيان الأندلسي ، البحر المحيط ، مرج سابق ج 2 / ص 165 .

[3] ــ الرازي ، مفاتح الغيب ، مرجع ، سابق ج 5 / ص 235 ــ236

[4] ــ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير مرجع سابق ه ج2 / ص 152 .

[5] الآية 8 سورة الْمَائِدَة

وهو أن الضمير عائد على المعروف، وهو صفة للوصية تميز الوصية الموافق للشرع من الوصية التي فيها جنف، ومخالفة للشرع، واحتجوا بسايق الآية (لحاقها) وهو رفع الحرج على من بدله لخوف الإثم في هو قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[1] .

ويظهر أن القول الثالث هو الذي يدعمه السياق ، و هو الذي يصح ؛ و ذلك لأن سياق الآية يدل عليه ؛ فالوصية جاءت مطلقة في الآية ، و قيدت بالمعروف ؛و هو المعروف في الشرع ؛ أي الوصية التي ليس فيها جنف ، و لا إثم و لحاق الآية يدل عليه ، كما استدل أصحاب الرأي الثالث والله أعلم .

ب _ قوله تعالى : ﴿ بَل تَأْتِيهِم بَغتَة فَتَبهَتُهُم فَلَا يَستَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُم يُنظَرُونَ ﴾ [2]

إشتملت الآية على عدة ضمائر ، منها المتصل ، و منها المستتر و اختلف في مرجع ضمير المستتر الذي في محل رفع فاعل الفعل " تأتي " ، و قد سبق بأسماء " النار "و"بغتة " تصلح أن تكون مرجعا له ، و يصلح أن يرجع على معنى أسماء لم تذكر .

فقال البعض برجوع الضمير المستتر الذي هو في محل رفع فاعل للفعل " تأتي " إلى النار، أو إلى الساعة؛ لأنّها تصيرهم إلى العذاب[3]، واستدلوا بالسياق اللغوي؛ وهو تأنيث الفعل تأتي في قراءة من قرأ بتأنيثه؛ وهم عامة القراء إلا الأعمش.

وقال آخرون أن الضمير المستتر الذي هو في محل رفع فاعل للفعل " تأتي " يرجع إلى الوعد أو إلى الحين ، و دعموا رأيهم بالسياق اللغوي ؛ و هو قراءة الأعمش بتذكير الفعل " يأتي " .

---

[1] الآية 182 سورة البقرة .

[2] _ الآية ٤٠ سورة الأنبياء .

[3] الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق ج 3 / ص 118 .

يظهر أن كلا القولين صحيح ، على حسب القراءة التي يقرأ بها ؛ و ذلك لقاعدة موافقة الضمير لمرجعه في التذكير و التأنيث ، إلا أنّه في قراءة التأنيث يعود على الوعد ، و على الحين على المعنى لا على اللفظ، و في قراءة التذكير يعود على النار و الساعة على المعنى لا على اللفظ ، و هذا المعنى ذكره بعض المفسرين : (فِي عَوْدِ الضَّمِيرِ إِلَى النَّارِ أَوْ إِلَى الْوَعْدِ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى النَّارِ وَهِيَ الَّتِي وَعَدُوهَا، أَوْ عَلَى تَأْوِيلِ الْعِدَةِ وَالْمَوْعِدَةِ أَوْ إِلَى الْحِينِ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى السَّاعَةِ أَوْ إِلَى الْبَعْثَةِ) . [1]

[1] المرجع السابق ج 7 / ص 432

المبحث الخامس : عود الضمير على غير مذكور .

أ ــ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [1]

ورد في الآية عدة ضمائر للغائب ضمير الجمع " هم " و ضمير المفرد " الهاء " المتصل بالفعل " يعرفونه " ، و قد اختلف في مرجعه على أقوال :

أولها : ضمير الغائب المفرد "الهاء " المتصل بالفعل يعرفونه يعود على النبي صلى الله عليه وسلم [2].

وقالوا أنّ سياق الكلام يدل عليه ، و إن لم يجري ذكر للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكذالك السياق خارجي ، و هو حديث عبد الله بن سلام ((قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} فَكَيْفَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: يَا عُمَرُ لَقَدْ عَرَفْتُهُ حِينَ رَأَيْتُهُ كَمَا عَرَفْتُ ابْنِي وَمَعْرِفَتِي بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدُّ مِنْ مَعْرِفَتِي بِابْنِي، فَقَالَ عُمَرُ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ نَعَتَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِنَا وَلَا أَدْرِي مَا تَصْنَعُ النِّسَاءُ، فَقَالَ عُمَرُ وَفَّقَكَ اللَّهُ يَا ابْنَ سَلَامٍ فَقَدْ صَدَقْتَ)).[3]

---

[1] ــ الآية ١٤٦سورة البقرة .

[2]- الطبري ، جامع البيان ، مرجع سابق ج1 / ص 255

[3] الزمخشري ،الكشاف ، مرجع سابق ج 1 / ص 204 .

وبسياق نحو، و بلاغي فقالوا (و جاز الإضمار، و إن لم يجر له ذكر ، لأنّ الكلام يدل عليه، و لا يلتبس على السامع ، و مثل هذا الإضمار فيه تفخيم ، و إشعار بأنّه لشهرته و كونه علماً معلوماً بغير إعلام) [1] .

وذهب آخرون مذهبا آخر، مفاده أنّ ضمير الغائب المتصل بالفعل " يعرفون " عائد على القبلة[2]، فقال بعضهم (يعني جل ثناؤه بقوله:" ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[3]، أحبارَ اليهود وعلماء النصارى: يقول: يعرف هؤلاء الأحبارُ من اليهود، و العلماءُ من النصارى: أن البيتَ الحرام قبلتُهم و قبلة إبراهيم وقبلةُ الأنبياء قبلك، كما يعرفون أبناءَهم)[4]

يظهر أن الرأي الأول هو الراجح ؛ لأن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ مذكور في السياق قبل ضمير الغائب بضمير المخاطب ، و تكرر ذالك ، و تحول الضمير من الحضور إلى الغيبة ؛ إنما هو إلتفات معهود في القرآن ، و اللغة العربية ، و إلى هذا أشار بعضهم بقوله : (بَلْ هُوَ عَائِدٌ إِمَّا إِلَى الرَّسُولِ وَإِنْ لَمْ يَسْبِقْ ذِكْرٌ لِمُعَادٍ مُنَاسِبٍ لِضَمِيرِ الْغَيْبَةِ، لَكِنَّهُ قَدْ عُلِمَ مِنَ الْكَلَامِ السَّابِقِ وَتَكَرَّرَ

[1] عضيمة ، دراسات لأسلوب القرآن ، مرجع سابق ج 8 / ص 80 .

[2] ــ الزمخشري ، الكشاف ، ج 1 / ص 204 .

[3] الآية 146 سورة البقرة .

[4] الطبري ، جامع البيان ، مرجع سابق 3 / ص 187

خِطَابُهُ فِيهِ مِنْ قَوْلِهِ:﴿ وَما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها ﴾ [1]، وَقَوْلِهِ: ﴿ قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾[2]، وَقَوْلِهِ: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً ﴾ [3] ، وَقَوْلِهِ:﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ ﴾[4]) [5]

والسياق الخارجي ؛ حديث عبدالله بن سلام ؛ ((قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ فَكَيْفَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: يَا عُمَرُ لَقَدْ عَرَفْتُهُ حِينَ رَأَيْتُهُ كَمَا عَرَفْتُ ابْنِي وَمَعْرِفَتِي بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدُّ مِنْ مَعْرِفَتِي بِابْنِي، فَقَالَ عُمَرُ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ نَعَتَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِنَا وَلَا أَدْرِي مَا تَصْنَعُ النِّسَاءُ، فَقَالَ عُمَرُ وَفَّقَكَ اللَّهُ يَا ابْنَ سَلَامٍ فَقَدْ صَدَقْتَ)) والله أعلم .

ب _ قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ١٩ ﴾

إحتوت الآية على مجموعة من الضمائر، ومنها ضمير الغائب المؤنث "الهاء" المتصل بأيّ، والذي اختلف في مرجعه عل قولين .

---

[1] الآية143سورة الْبَقَرَة ،

[2] [الْبَقَرَة: 144]

[3] الآية 144 الْبَقَرَة .

[4] الآية 144 سورة الْبَقَرَة .

[5] _ الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير، مرجع سابق ج 2 / ص 39 .

فذهب البعض الضمير المؤنث الغائب " الهاء" المتصل بأيّ عائد على المدينة [1]، سياق لغوي، فقدروا محذوفاً مضافاً و المضاف إليه هو مرجع الضمير المؤنث، وتقدير الكلام، أي أهل المدينة أزكى طعاماً، فعاد الضمير على المدينة .

وخالفهم غيرهم إلى القول بأن الضمير المؤنث " الهاء " المتصل بأيّ عائد على المآكل[2]، واحتجوا بأنّ سياق الكلام عن الطعام فالضمير راجع للمآكل، وهي جمع والضمير عائد على الجمع.

يظهر أن الراجح عود الضمير على المآكل ؛ لدلالة السياق عليه ، و إن كان غير مذكور ، فقد دل عليه لفظ الطعام، ولفظ الرزق، وقد سبق تجويز أهل العربية لعود الضمير على المعنى إذا كان هناك قرينة تدل عليه ، و القرينة هنا هي ذكر الطعام ، والله أعلم .

[1] الطبري ، جامع البيان ، مرجع سابق ج 16 / ص 639

[2] أبوحيان الأندلسي ، البحر المحيط ، مرجع سابق ج7 /ص 156 .

المبحث السادس: ضمير الشأن

أ ـ **قوله تعالى** : ﴿يَٰبَنِي ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [1]

جاء في هذه الآية ضمير الغائب " هو " يصح أن يكون ضمير شأن يفسره مابعده ، و فيه معنى بلاغي هو تنبيه المؤمنين لخطورة عداوة الشيطان ، و يصح أن يكون مبتدأ حذف خبره ، لذا اختلف أهل التفسير؛ هل هو ضمير شأن ، أم هو ضمير له مرجع يرجع إليه . و بكلا القولين قال بعض المفسيرين :

بعضهم يرى أنّ ضمير " هو " في الآية ضمير شأن يفسره ما بعده [2] .

واستدلوا بسياق لغوي خارجي؛ و هو قراءة اليزيدي ، فقالوا قرأ اليزيدي وَقَبِيلُهُ بالنصب، وفيه وجهان: أن يعطفه على اسم إنّ، وأن تكون الواو بمعنى مع، ومن ثمّ تبقى "هو" ضمير شأن[3].

ونفى غيرهم أن يكون "هو " في الآية ضمير شأن، وقالوا بل مبتدأ محذوف الخبر، سياق لغوي؛ وهو أنّه يجوز في اللغة ، أن يكون ضمير شأن ، و يجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر، ومِنَ لابتداء الغاية و حَيْثُ ظرف لمكان انتفاء الرؤية و جملة لا تَرَوْنَهُمْ في محل جر بالإضافة . [4]

والصحيح القول الثاني؛ والضمير ليس ضمير شأن؛ لأن القاعدة: أن لا يحمل الضمير على الشأن، إذا كان له وجه في العربية يكون فيه غير ضمير شأن، وهذا الضمير له وجه في العربية كما قال أصحاب الرأي الثاني ، أنّه مبتدأ حذف خبره ، و في العربية يجوز حذف الخبر إذا دل دليل عليه، وقد دل عليه في هذه الآية فعل " يراكم" قبل المبتدأ ، فجاز حذفه ، والله أعلم .

---

[1] ـ الآية ٢٧سورة الاعراف .

[2] أبوحيان الأندلسي ، البحر المحيط ، مرجع سابق ج 5 / ص 32 .

[3] مرجع نفسه، ج 5 / ص 32 .

[4] ـ الألوسي، روح المعاني ، مرجع سابق ج 4 / 144ـ 145 .

المبحث السادس: عود ضمير جمع الذكور على المؤنث .

أ ــ **قوله تعالى** : ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤ ﴾ [1]

ورد في الآية ضمير الجمع المخاطب " كم " المتصل بحرف الجر "عن " ، و بالفعل " يطهّر"، اختلف في مرجعه هل يعود على نساء النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أم يرجع عل من ذكروا في حديث الكساء فقط .

ذهب أصحاب الرأي الأول إلى أن الضمير يعود على نساء النبي ــصلى الله عليه وسلمــ[2]، واستدلوا بسياق خارجي ، و هو سبب نزول الآية ، و ما رواه ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادي في السوق أن نساء النبي ــصلى الله عليه وسلم ــ داخلات في آل بيته .

وقالو: دل عليه سياق الكلام ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ﴾[3]، ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِ خِطَابِهِ لَهُنَّ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾، ثُمَّ قَالَ بَعْدَهُ: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[4] وسياق نحوي فيروا ورود ضمير الجمع المذكر في الخطاب للإناث فقالوا : (وأورد ضمير جمع المذكر في عَنْكُمُ ويُطَهِّرَكُمْ رعاية للفظ الأهل والعرب كثيرا ما

[1] الآية 33 ــ 34 سورة الآحزاب .

[2] بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ج6 / 370 .

[3] الآيات 28ــ 34 سورة الآحزاب .

[4] المصدر السابق ج 6 / ص 236 ــ 237

يستعملون صيغ المذكر في مثل ذلك رعاية للفظ و هذا كقوله تعالى خطابا لسارة : امرأة الخليل عليهما السّلام ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾[1][هود:][2]

سياق خارجي وهوسبب نزول الآية وإجماع علماء الأصول على دخول صورة سبب النزول الاية، وأنها لاتخرج بمخصص [3].

وخالفهم غيرهم فأخرج نساء النبي من آل البيت بإرجاع ضمير المخاطبين " كم " إلى أهل الكساء دون نساء النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فعندهم الضمير لايعود إلا على الذيين كانوا مع النبي في الكساء، واعتمدوا على سياق خارجي وهو حديث الكساء، وسياق نحوي هو إختلاف الضمائر فالضمير المخاطب " كم " جاء مذكر ونساء النبي ــ صلى الله عليه وسلم إناث .

يظهر من أدلت الفريقين أن القول الأول هو الراجح ؛ و ذلك لقاعدة عود الضمير على أقرب مذكور مالم تصرف قرينة للبعيد ، أما قرينة المخصص فهي مردودة بسبب النزول الذي لايخرجه المخصص كما ذكره أصحاب الرأي الأول : (صُورَةَ سَبَبِ النُّزُولِ قَطْعِيَّةُ الدُّخُولِ، فَلَا يَصِحُّ إِخْرَاجُهَا بِمُخَصَّصٍ .....وَإِلَيْهِ أَشَارَ فِي «مَرَاقِي السُّعُودِ» بِقَوْلِهِ:

وَاجْزِمْ بِإِدْخَالِ ذَوَاتِ السَّبَبِ ... وَارْوِ عَنِ الْإِمَامِ ظَنًّا تُصِبِ)[4] ، و أما قرينة إختلاف الضمائر، فهي مردودة ؛ بأنّ العرب تجمع الضمير جمع مذكر إذا كانوا ذكوراً ، و إناثاً ، فلما كان

[1] الآية 73 سورة هود

[2] الألوسي ، روح المعاني مرجع سابق ج 11 / ص 194 .

[3] الشنقيطي ، أضواء البيان مرجع سابق ج 6 / ص 236 ــ 237

[4] المصدر نفسه، ج 6 / ص 236 ــ 237

2ــ الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ج 11 / ص 194 .

الخطاب لنساء النبيـ صلى الله عليه وسلم ـ وحدهنّ كان الضمير مؤنث ، فلما دخل معهنّ ذكور آل البيت ذكّر الضمير، وقد أشار إليها بعضهم بقوله: (وأورد ضمير جمع المذكر في عَنْكُمُ ويُطَهِّرَكُمْ رعاية للفظ الأهل) والله أعلم .

الخاتمة

الخاتمة:

خلصت في نهاية هذه الدراسة إلى أهمية السياق في فهم النصوص من خلال هذه النقاط:

ـ يوضح المعنى من خلال الترجيح بين الاحتملات المتعددة.

ـ أسلم وأضبط لتأويل النص، وتفسيره.

ـ لا يهمل شيئا مما يؤثر في معنى النص؛ بيئة إنتاج النص، وسياقه اللغوي، وسياقه الاجتماعي، والمقام، معنى اللفظة المتحول بتحول السياقات التي ترد فيها.

ـ دلالة السياق على المعنى تامة.

ـ المتدبر للقرآن، والمفسر له يظهر له إعجاز القرآن، وأنّه وحدة مترابطة متسقة النظم، ومتعانقة المعاني، ومن ثم فلا يمكن تفسير القرآن تفسيراً سليماً إلا على ضوء السياق.

ـ يعطي للمفسر دفعاً في تحقيق الموضوعية، والتجرد من الذاتية.

ـكما أن السياق القرآني الخاص يخدم سياقه العام، فالآية تدعم المعنى العام للسورة، والسورة تدعم المعنى العام للقرآن الكريم.

ـكما توصلت إلى أن عود الضمير ينوع المعاني في القرآن الكريم؛ لتعدد احتمالات مرجعه، فتتجلى فيه البلاغة؛ لدلالته على معان كثيرة بألفاظ وجيزة.

ـ ما وضع للضمير من قواعد وضوابط يكملها السياق، إما بالترجيح بينها حال تعارضها، أو بضبط ما قد تقصر عليه في بعض الأحيان.

قائمة المراجع

قائمة المراجع:

*القرآن الكريم.

- الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر (أبو القاسم) الخوارزمي (ت 538) ، أساس البلاغة ت محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية

- ابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء (أبو الحسين)، معجم مقاييس اللغة ،ت عبد السلام محمد هارون دار الفكر .

- أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، عالم الكتاب القاهرة الطبعة الرابعة 1993

- الجلال السبكي ، شمس الدين ، حاشية البناني على شرح جمع الجوامع دار الفكر .

- الألوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (1270 ه) ، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، ت علي عبد الباري عطية ،دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى 1415 ه

- الشافعي ، محمد بن إدريس ، الرسالة ، ت أحمد محمد شاكر، المكتبة الشاملة.

ـ ابن الحاجب ، أبو عمرو عثمان ، أمالي بن الحاجب ، ت فخر صالح سليمان قدارة ، دار الجيل بيروت ، دار عمان ت ن 1409 ه / 1989 م .

ـ إبن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ،الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط الرابعة، المكتبة الشاملة ، ت ن في الشاملة 08 ذو الحجة 1431 ه .

ـ العكبري ، عبد الله بن الحسين بن عبد الله (أبو البقاء) (ت 616 ه)، التبيان في إعراب القرآن، ت علي محمد البجاوي ، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه ، المكتبة الشاملة ت ن في الشاملة 8 ذو الحجة 1431 ه .

ـ مسلم ، بن الحجاج بن مسلم ، (أبو الحسين) ،القشيري النيسابوري ،المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ت أحمد رفعت بن عثمان حلمي قرة الحصاري ، دار الطباعة العامرة تركيا تن 1334 ه ، المكتبة الشاملة تن في الشاملة 1443 ه .

ـ بن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، (أبو الفداء)القرشي البصري ثم الدمشقي (774 ه)، تفسير القرآن العظيم ، ت محمد حسين شمس الدين ،دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى 1419 ه المكتة الشاملة تن 8 ذو الحجة 1431 ه .

ـ أبو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، لسان العرب دار صادر بيروت

ـ الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر، (أبو القاسم) الخوارزمي (ت 538)، المفصل في صفة الإعراب ت علي بن ملحم ، مكتبة الهلال بيروت ،الطبعة الأولى 1993 م ، المكتبة الشاملة ت ن في الشاملة 8 ذو الحجة 1431 ه .

ـ الطبري ، محمد بن جرير (أبو جعفر)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،ت محمود محمد شاكر ،دار التربية والتراث ط ب ت .

ـ البخاري ، محمد بن اسماعيل (أبو عبد الله) الجعفي،صحيح البخاري ، ت مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير ، دار اليمامة) دمشق ، الطبعة الخامسة 1414 ه / 1993 م، المكتبة الشاملة ت ن في الشاملة 14 ربيع الأخرة 1443 ه .

ـ ابن مالك ، محمد بن عبد الله (أبو عبد الله)الأندلسي(ت 762 ه) الخلاصة في النحو ، ألفية ابن مالك ، ت عبد المحسن بن محمد القسم ، الطبعة الرابعة 1442 ه / 2021 م ، المكتبة الشاملة تن في الشاملة 17 جمادى الآخرة 1443 ه .

ـ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله ،البرهان في علوم القرآن ، ت أبو الفضل الدمياطي ، دار الحديث القاهرة ، ت ن 1427 ه/ 2006 م .

ـ بن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني ، الرسالة التدمورية ، مكتبة السنة المحمدية

ـ بن تيمية ، أحمد عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى ، دار الوفاء ، ط الأولى 1417 ه / 1997م

ـ الحربي ، حسين بن علي بن حسين ، قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية دار القاسم الطبعة الأولى 1996 م

ـ سالم شرابي ، قواعد في مرجع الضمير ودلالة السياق عليه ، رسالة دكتوراه ، جامعة البليدة 2018 م

ـ القرطبي ، محمد بن أحمدالأنصاري (أبو عبد الله) ، الجامع لأحكام القرآن ، ت البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية القاهرة ، الطبعة الثالثة ت ن 1384 ه 1964 م .المكتبة الشاملة ت ن في الشاملة2 شعبان 1432 ه .

ـ سيبويه ، عمرو بن عثمان (أبي بشر)، الكتاب ، تحقيق عبدالسلام هارون مكتبة الخانجي القاهرة ط الثالثة .

ـ العثيمين ، محمد بن صالح بن عثيمين ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ،ت أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ،الطبعة الثانية 1414 ه/ 1994 م مكتبة السنة.

ـ عضيمة ، محمد عبد الخالق (ت 1404 ه) ، دراسات لأسلوب القرآن ، دار الحديث القاهرة، الطبعة بدون تاريخ طبع .

ـ السيف، محمد عبدالله بن حمد ، الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم جمعا ودراسة ، دار التدمرية .

ـابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف (أبو محمد) ، شذرات الذهب ، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1422 ه / 2001 م.

ـ الشاطبي، إبراهيم بن موسى (أبو إسحاق) ، اللخمي الغرناطي المالكي ،الموافقات في أصول الشريعة، ش عبد الله دراز ، دار الحديث القاهرة 1427 ه / 2006 م.

ـشرح تنقيح الفصول 34/33

ـ الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، (أبو طاهر) ، (ت 817 ه)، القاموس المحيط، ت مكتب التحقيق مؤسسة الرسالة ، ط مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الثامنة 1426ه/ 2005م. المكتبة الشاملة ت ن في الشاملة 8 ذو الحجة 1431 ه .

ـناظر الجيش ، محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد الحلبي ثم المصري المعروف ب (ت 778 ه)، تمهيد القواعد بشرح بتسهيل الفوائد، ت علي محمد فاخر وآخرون ،دار السلام القاهرة الطبعة الأولى 1428 ه ، المكتبة الشاملة ت ن في الشاملة 24 صفر 1437 ه .

ـ الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت1393ه) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ،دار الفكر لبنان ت ن 1415 ه / 1995 م.

ـ التهناوي ، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي (ت 1158ه)، موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ، ت علي دحروج ،مكتبة لبنان ناشرون بيروت، الطبعة الأولى 1996 م ، المكتبة الشاملة ت ن في الشاملة 6 محرم 1433 ه .

-القطان، مناع بن خليل (ت 1420 هـ) ، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة المعارف ، الطبعة الثالثة 1421 هـ/ 2000 م، المكتبة الشاملة تن في الشاملة 8 ذو الحجة 1431 هـ .

-الجاحظ أبو عثما عمر بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء اليثي، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال بيروت عام النشر 1423 هـ، المكتبة الشاملة ت ن في الشاملة 8 ذو الحجة 1431 هـ .

-أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي (ت 393 هـ)،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الرابعة 1407 هـ / 1987 المكتبة الشاملة 8 ذو الحجة 1431 هـ .

-أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745 هـ) الأندلسي، البحر المحيط في التفسير ، ت صدقي محمد جميل ، دار الفكر بيروت الطبعة 1420 هـ المكتبة الشاملة ت ن في الشاملة 8 ذو الحجة 1431 هـ.

-مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط الرابعة 2004 م / 1425 ه مكتبة الشروق الدولية.